نغمٌ على الكينا

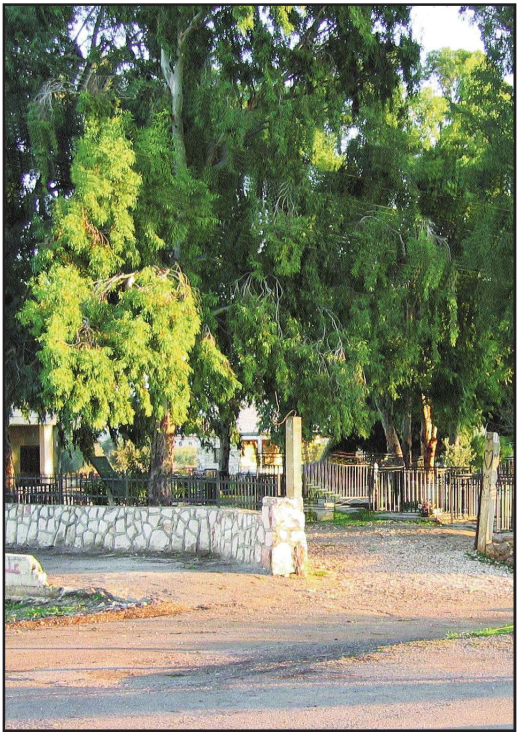

نغمٌ على الكَينا

قصةُ يُحْمُر مع الزمنِ ليست حكايةً أسطورية، بل حياةُ فتاةٍ في ربيعِ العمرِ تغزلُ أحلامَها، وأمٌّ تداعبُ طفلَها كي ينسى جوعَه، وأبٌ يلازمُ الكدْحَ والآمالَ ويرفضُ الضَّيم، وشبابٌ لا حدود لطموحِه، وبيتٌ صغيرٌ وقمحٌ وياسمين، وشيخٌ يرتِّل آيات بيِّنات عند السَّحَر، وذاكرةٌ تغوصُ في أعماق التاريخ، حُبٌّ للحياةِ والقرنفل، بلبلٌ يصدح، ونسرٌ في الأعالي، ورايـاتٌ سودٌ تأتي من الشرق، وحزنٌ كربلائيٌّ قدري...

يُحْمُر.. قريةٌ هادئةٌ تغفو على أنغامِ الأنفاسِ ولواعجِ الأحاسيسِ المخزونةِ في الصدور..

يُحْمُر.. قصَّةُ غزالٍ ارتحَلَ إليها واستراحَ بعدَ طولِ عناء..

يُحْمُر.. ضيعةٌ ككلِّ عاملة تأبى الذلَّ وتنفر مِنَ السَّكينة..

حكايا يُحْمُر هي حكايات عيترون ذاتها ، وتشابه قصص برعشيت إلى حدِّ التوافق، وحولا، ومركبا، وشبعا، وشقرا، ومَيدون، وجرجوع، ومعركة، وميمس...

اختـرْ أيُّها العابـرُ لهذه الكلمات الاسمَ المحبَّب

إليك.. وأنشدُكَ، خُذْ هذهِ الكلمات الملامح، لتكونَ بطاقةَ تعريفٍ لما اخترت، وأطلق العنانَ لقلمِك، كي يقولَ قصّتَهُ إن استطاع، أو نصيحةً كما يَراعي فَعَل، اكتفى ببعضِ الملامح العناوين، ولم يستطعْ كتابةَ مقدمة كاملة لحكايةٍ واحدة...

وأنتِ أيتها الضيعة العزيزة.. لو استجمعتُ كلَّ ثقافتي وعلومي منذ الحروف الأولى، لن أدركَ الكُنْهَ الذي تختزنين، اعتذرتُ أولاً وأعيدُ أخيراً، وأستسلمُ أمامَك مسروراً، فلن أستطيعَ مجاراتَك..

عايشتُكِ لعقود عروساً تتجدَّدُ مع المواسم، والكبرياءُ ينمو، حاولتُ رسمَ حروفِك البهيَّة بريشةٍ طبيعية، مزّقتُ أوراقاً كثيرة، لكنَّ هاتفاً من أوديتِك جاءني:

(يا ولدي هوّنْ على عائلتِك وروحِك كلَّ هذا الوجْد، الزيتونُ راضٍ، وكذلك الصخورُ والدُّور والبيلسان، عصافيرُ الدُّوري تغرّد على شجرات الكينا، النهرُ مبتسمٌ، والقلعةُ تلتحفُ كانونَ الأيامِ بأوراقِك، والقُنْدولُ أطلقَ جيلاً جديداً من الزّهور والأشواك، ودمعةُ فرحٍ تنساب من عينَي "الحاجة فاطمة" في فردوسِها الأعلى، والمئذنةُ نادت: حيّ على خير العمل..

اهدأ.. وادَّخرْ أعصابَكَ لي، فإنَّ فَيضي لن ينضبَ أبدَ الدَّهر، ورحمي خصبُ العطاء..

يا ولدي.. إنَّ الأيام ليالٍ وفجر، والغول على مرمى حجر..

يا ولدي.. سيأتي بعدَك مَن يتابع فصولَ القصيدة...).

فاطمأنَّتْ نفسي واكتفَتْ..

نام قلبي ليلتَهُ الأولى ملءَ جفونِه، شَهْران

قضاهما كلمحةٍ لذيذة، كغفوةٍ تحت تِينةٍ برّيةٍ جانب النهر، أو كأمسية مستلقياً على شرفة من شرفات القلعة، يستنيرُ بالنُّجوم المتألّقة خلف الكينا المبعثر على رُبى المجد ...

اطمأنَّ الدماغُ أيضاً، وغفا مع القلبِ هذه المرَّة. واستراح...

يُحْمُر.. أنتِ الشهيدةُ لكِ في القدس أسْوَةٌ. وأمنياتٌ لها منكِ. أن تكونَ أسْوَةً لكِ في الانتصار..

يُحْمُر الشهيدة والشاهدة، والشاهدة: شهيدةٌ أنتِ. وأنتِ الشاهدان: العين والأثر، هما..!